حرف الجيم

— ٢ —

لعبد الله أمين

جاء في « سر الفصاحة » للأمير أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي المتوفى سنة ٤٦٦ هـ المطبوع بمصر سنة ١٣٥٠ هـ و(سنة ١٩٣٢ م) ما يأتي :

«ويلحق هذه الحروف التي ذكرناها حروف بعضها يحسن استعماله في الفصيح من الكلام، وبعضها لا يحسن . فالتي تحسن ستة أحرف وهي : النون الخفيفة التي تخرج من الخيشوم والهمزة المخففة وألف الإمالة وألف التفخيم وهي التي بها ينحى نحو الواو وذلك كقولهم في « الزكاة » الزكوة والصاد التي كالزاي نحو قولهم في «مصدر» مزدر والشين التي كالجيم نحو قولهم في أشدق أجدق

والحروف التي لا تستحسن ثمانية وهي الكاف التي بين الجيم والكاف نحو كلهم عندك والجيم التي كالكاف نحو قولهم للرجل ركل والجيم التي كالشين نحو قولهم خرشت والطاء التي كالتاء كقولهم طلب والضاد الضعيفة كقولهم في أزد أضرد والصاد التي كالسين في قولهم صدق والظاء التي كالتاء كقولهم ظلم والثاء التي كالباء كقولهم فرند » ص ٢١ و٢٢

هامش من الطابع : وسم المؤلف فوق كل حرف ما يشبهه جيماً صغيرة فوق الكاف في كلهم وركل وخرشت وتاء صغيرة كذلك فوق الطاء من طلب وهكذا حتى آخر الأمثلة

وقال محمد رضيّ الدين بن الحسن الاستراباذي المتوفى سنة ٦٨٨ هـ في شرحه على الشافية في الصرف لأبي عمر عثمان المعروف بابن الحاجب ما يأتي :

« قوله : والشين كالجيم : ذكرها سيبويه في الحروف المستحسنة وذكر الجيم التي كالشين في المستهجنة وكلتاهما شيء واحد لكنه انما استحسن الشين المشربة صوت الجيم لأنه انما يفعل ذلك بها اذا كانت الشين ساكنة قبل الدال والدال مجهورة شديدة والشين مهموسة رخوة تنافي جوهر الدال ولا سيما اذا كانت ساكنة لأن الحركة تخرج الحرف عن جوهره فتشرب الشين صوت الجيم التي هي مجهورة شديدة كالدال لتناسب الصوت فلا جرم استُحسن انما استهجن الجيم التي كالشين لأنها انما يفعل ذلك بها إذا سكنت وبعدها دال أو تاء نحو اجتمعوا واجدر وليس بين الجيم والدال ولا بينها وبين التاء تباين كل منها شديد لكن الطبع ربما يميل لاجتماع المتباينين كل الملائمة وتباين الشين شديد الجيم ما يقاربه في المخرج وهو الشين

فالفرار من المتنافيين مستحسن والفرار من المثلين مستهجن فصار الواحد مستحسناً في موضع مستهجناً في موضع آخر بحسب موقعه » ج ٣ ص ٢٥٥ و ٢٥٦ مطبعة حجازي ، مصر

يريد الرضي بقوله « وكلتاهما شيء واحد » أن النطق بالشين في نحو أشدق مشربة صوت الجيم نحو أجدق أي بين الشين والجيم كالنطق بالجيم في نحو أجدر مشربة صوت الشين نحو أشدر اي بين الجيم والشين ي أن اجتماع كلٍّ من الشين والدال ومن الجيم والدال ولّد حرفاً ثالثاً لا هو شين خالصة ولا هو جيم خالصة بل هو مزيج منهما معاً في الموضعين

ويريد بقوله « فالفرار من المتنافيين مستحسن والفرار من المثلين مستهجن » أنك حين تعمد الى الجيم مع الدال في نحو أجدر وهما مثلان في الشدة متلاقيان في الجوار وليس بينهما تباين فتشرب الجيم صوت الشين الرخوة وتخرجها بهذا الاشراب من شدتها الى رخاوة الشين اجابة للطبع الذي ربما يميل لاجتماع الشديدين الى السلامة واللين وتباعد به بينهما تعمل عملاً مستهجناً ، وأنك حين تعمد الى الشين المهموسة الرخوة مع الدال المجهورة الشديدة في نحو أشدق فتشرب الشين صوت الجيم المجهورة الشديدة لتزيل ما بين السين والدال من التنافر فيتلاقيا في الشدة والجهر تعمل عملاً مستحسناً

وقال قوله: والكاف والجيم : نحو جافر في كافر وكذا الجيم التي كالكاف يقولون في جل كَل وفي رجل ركل وهي فاشية في أهل البحرين وهما جميعاً شيء واحد إلاّ أنّ اصل احدهما الجيم وأصل الآخر الكاف كما ذكرنا في الجيم كالشين والسين كالجيم الاّ ان الشين كالجيم مستحسنة وعكسه مستهجن والكاف كالجيم وعكسه مستهجنان فقوله : لا يتحقق: فيه نظر وكأنه ظن أن مرادهم بالجيم كالشين وحرف آخر غير الشين كالجيم وكذا ظن ان مرادهم بالجيم كالكاف غير مرادهم بالكاف كالجيم وهو وهم

يريد الرضيُّ بقوله « وهما جميعاً شيء واحد» أن النطق بالجيم في نحو جل ورجل مشربة صوت الكاف نحو جيم كَل وركل اي بين الجيم والكاف كالنطق بالكاف في نحو كافر مشربةً صوتَ الجيم نحو جافر اي بين الكاف والجيم في أن إشراب الجيم صوت الكاف كإشراب الكاف صوت الجيم يخلق حرفاً واحداً في الموضعين لا هو جيم خالصة ولا هو كاف خالصة ولولا هذه الارادة لما قال « وهما جميعاً شيء واحد »

ويريد بقوله عن ابن الحاجب « وكأنه ظنّ ان مرادهم بالجيم كالشين حرف آخر غير الشين كالجيم وكذا ظنّ أن مرادهم بالجيم كالكاف غير مرادهم بالكاف كالجيم وهو وهم » أنّ الحرف الذي يحدث بإشراب الجيم صوت الشين هو نفسه الحرف الذي يحدث بإشراب الشين صوت الجيم وكذا الحرف الذي يحدث باشراب الجيم صوت الكاف هو نفسه الحرف الذي

يحدث بإشراب الكاف صوت الجيم فقول ابن الحاجب « وأمّا الجيم كالكاف والجيم كالشين فلا يتحقق » كلام وهم حقّا غير صحيح ما دام عكس كل منهما محقق باعترافه وهو الكاف كالجيم ، والشين كالجيم لأن الحرف الناشيء من اجتماع شين ودال هو نفسه الناشيء عن اجتماع جيم ودال وكذا الحرف الناشيء من لفظ الجيم مشربة صوت الكاف هو نفسه الحرف الناشيء من لفظ الكاف مشربةً صوت الجيم

وقال العلامة المحقق ابو البقاء ابن يعيش على المفصل في النحو لإمام اللغة والأدب أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ما يأتي :

«فأمّا الكاف التي بين الجيم والكاف فقال ابن دريد هي لغة في اليمن يقولون في جَمَل كَمَل وفي رجُل رگُل وهي في عوامّ أهل بغداد فاشية شبيهة بالسنغة . والجيم التي كالكاف كذلك وهما جميعاً شيء واحد إلا أن أصل إحداهما الجيم وأصل الأخرى الكاف ثم يقلبونهما الى هذا الحرف الذي بينهما »

(يريد بالحرف الذي بينهما الحرف الذي بين الجيم والكاف وبين الكاف والجيم وهو حرف واحد ثالث لاهو جيم خالصة ولا هو كاف خالصة بل هو مزيج منهما معاً في الموضعين لذلك يحسن ان يوضع فوق كاف كَمَل ورگُل حرف جيم وفوق جيم جافر حرف كاف)

وقال : وأما الجيم التي كالشين فهي تكثر في الجيم الساكنة اذا كان بعدها دالٌ أو تاء نحو قولهم في اجتمعوا والأجدر اشتمعوا والأشدر فتقرب الجيم من الشين لأنهما من مخرج واحد إلا أن الشين أبين وأفشى

فإن قيل فما الفرق بين الشين التي كالجيم حتى جعلت في الحروف المستحسنة وبين الجيم التي كالشين حتى جعلت في الحروف المستهجنة قيل ان الاول كره فيه الجمع بين الشين والدال لما بينهما من التباين الذي ذكرناه وأما اذا كانت الجيم مقدمة كالاجور واجتمعوا فليس بين الجيم والدال من التنافي والتباعد ما بين الشين والدال فلذلك حسن الأول وضعف الثاني» ص ١٤٦٣ ابن يعيش ، طبع أوربا

وفي شرح الدماميني على التسهيل في الحروف المستقبحة ما يأتي نقلاً عن نسخة خطية في مكتبة كلية اللغة العربية من كليات الأزهر الشريف بشارع البراموني بمصر :

« وفروع تستقبح وهي كاف كجيم) كقولهم في كل جُل محرف يشابه الجيم . قال ابن دريد وهي لغة في اليمن كثيرة في أهل بغداد (وبالعكس) وهي جيم ككاف مثل قولهم : في رجل ركل محرف يشابه الكاف . وجعل سيبويه الكاف كالجيم والجيم كالكاف حرفاً واحداً وعدّهما ابن جنيّ وتبعه ابن عصفور « المستقبح حرفين مراعاة للاصل» (وجعل كلا)

نحو الاشدر في الاجدر فينطقون عوض الجيم بحرف شبيه بالشين. وذكر الشارح السؤال المشهور وهو انه لم عدّت الشين كالجيم في الفروع المستحسنة والجيم كالشين في الفروع المستقبحة ؟ وجوابه ان الجيم حرف قوي والشين حرف ضعيف وتقريب الضعيف من القوي مستحسن بخلاف العكس

الدليل الناطق المتواتر القطعي

هذه هي نصوص الائمة في النطق الصحيح الفصيح بحرف الجيم الذي يجب التزامه وهجر ما عداه وهي أمنع من عقاب الجو لا يتسامى اليها شك ولا طعن ولا تأويل . ومن هذه النصوص ترى أن الائمة أجمعوا على استهجان وانكار الجيم التي كالكاف والجيم التي كالشين . وبقي دليل آخر يؤيد هذه النصوص كل التأييد وهو مثلها لا يتسرّب اليه شكٌّ بل هو قاطع في الدلالة ، قطعاً وهذا الدليل هو السماع والمشافهة

لا شكّ أن أسلافنا لم يكونوا يملكون في أيام الجاهلية ولا في صدر الاسلام ولا في بقية العصور الاسلامية السابقة لعصرنا الحاضر ما نملك نحن الآن من الأجهزة والأدوات الحديثة لالتقاط الاصوات وحفظها وإذاعتها كما هي فتستطيع أن نسمع من أراد صوت الجيم عن العرب الخُلّص الفصحاء

غير أننا عُوِّضنا عنها ما أغنانا عنها وهو الرواية القائمة على الصدق والأمانة والفطنة والحذر الشديد، الرواية التي بلغت فيها الأمة العربية الاسلامية مدى انفاق لم يبلغ الاسلام الى الآن ما لم تبلغهُ أمة من الامم لا في العصور القديمة ولا الحديثة، وقد بلغت الرواية الذروة في رواية الحديث الشريف . أما رواية القرآن الكريم والحرص على رسمه ولفظه وأدائه كما أُنزل فحدّث عن اتقانها وجودتها وسلامتها من الخطأ ما شئت أن تحدّث

رواية القرآن الكريم — وقريب منها رواية الحديث الشريف — أقامت الامة العربية الاسلامية وأقعدتها ونهضت عن علوم القراءات والتجويد وفن رسم الحروف بل وهي التي أوحت لعلم النحو

وطريق هذه الرواية هي أن يتلقّى مريد القرآن الكريم قراءته قراءة صحيحة متقنة بإخراج الحروف من مخارجها ومراعاة صفاتها الذاتية والعرضية تمام المراعاة ويتدرّب عليها على مدرّب تلقى القرآن عن مدرّب آخر بهذه الطريقة وتلقّاه المدرب الآخر على هذا النحو وهكذا حتى يتصل سند الرواية بالمعلم الاول وهو الرسول صلى الله عليه وسلم

وعندي أن خير الشعوب العربية الاسلامية رواية وحفظاً وأداءً للقرآن الكريم هو الشعب

المصري . وقد أصبحت رواية القرآن الكريم وحفظه على ذلك النحو أمانة في عنقه لانفراده وتقدمه في هذه الرواية وهذا الحفظ منذ قرون طويلة مضت

وفي الديار المصرية العامرة مشيخة للقراء يتدربون فيها على القراءة الجيدة المتقنة على شيوخ ذوي علم وخبرة بها وأقدام راسخة فيها وعلى رأسهم جميعاً إمام القراء في هذه الديار وهو من خير حُذّاقهم فيها. ولهم مقارىء في كثير من مساجد القاهرة يجتمعون كل يوم طوائف في عدة مساجد منها بين صلاتي العصر والمغرب ويتدارسون القرآن الكريم فيها في حضرة شيخ من ثقات شيوخهم وحذاقهم

واذا حضرت أيها القارىء هذه المقارىء مرات وأطلت الجلوس وأرهفت السمع لا تسمع حرف الجيم فيها يلفظ إلاّ من مخرجه في أول الشجر من ناحية فتحة الفم الخلفية بدون الاقتراب به من مخرج الكاف وجعله كالكاف الغاظة ، وبدون الاقتراب من مخرج الشين وبدون إشرابه صوتها (تعطيشه)[1]

ولقد حضرتُ هذه المقارىء غير مرّة وأطلت الجلوس من أوّل الوقت الى نهايته وأرهفت سمعي كل الارهاف بشغف وانتباه لصوت الجيم فلم أسمع إلاّ ماذكرت ولم أكتف بذلك فالتقيت بإمام القراء السابق المرحوم الشيخ محمد خلف الحسيني رضي الله عنهُ ثم بإمامهم الحاضر أطال الله بقاءه حضرة صاحب الفضيلة الشيخ علي الضباع وسألت كلاً منهما — وهو شيخ للمقارىء — عن النطق الصحيح الفصيح الوارد في القرآن الكريم لحرف الجيم الذي يجب التزامه وهجر ما عداه فكان صلب جوابهما مع اختلاف زمنيهما واحداً وهو « الابتعاد بحرف الجيم حين النطق به عن مخرج حرف الشين وعدم إشرابه شيئاً من صوته — عدم تعطيشه — كما ينطق به السوريون » وهذا هو الأمر الخطير الذي يعنيني على كتابة هذا المقال

أما الجواب الاخير بشيء من الاطالة فهو : أن الجيم تلفظ في القرآن الكريم من مخرجها من أول الشجر من ناحية فتحة الفم الخلفية كما ينطق بها بعض أهل القاهرة وخير مثال لهم قرّاء المقارىء ، ولا تجعل كالكاف الغليظة كنطق كثير من القاهريين الاصليين ولا تجعل قريبة من الشين بإشرابها صوتها (تعطيشها) كنطق السوريين والاسكندريين الاصليين

وإذ كان مثل هذا الكلام لا يمكن ادراكه على حقيقته إلاّ بالسماع فأني أرجو من كل من يعنيهم الأمر أن يحضروا المقارىء المصرية فان لم يكن ذلك ممكناً فلينصتوا بانتباه الى القرآن يذاع من محطة الاذاعة بالقاهرة

---

(١) لكلمة تعطيش لا أصل لها في كتب العربية ولا يعرفها القراء